ولغاية هنا قد انتهى ملخص ما ألقاه من دروس الفراعنة حضرة العالم الاديب والمؤرخ الاريب أستاذنا أحمد أفندى نجيب مفتش مصلحة الآثار المصرية ومعلم هذا العلم بمدرسة التجهيزية سابقا

الباب الثانى

﴿فى التاريخ القديم لامم الشرق﴾

(الشرق) يعنى بهذا الاسم فى علم الجغرافية أحد الجهات الاصلية أى محل شروق الشمس ولكن فى التاريخ تطلق هذه الكلمة على الممالك الواقعة شرقى أوروبا والبحر الابيض المتوسط وهى مصر وفلسطين والشام وبلاد العرب وأرض الجزيرة (جزيرة ابن عمرو) وبلاد العجم والهند والصين وهاتان الاخيرتان يعدونهما من البلاد المشرقية فى بعض الاحيان

وقد ذكرنا فيما سلف ان مصر مضى عليها جملة أعصر وأحقاب وهى حافظة لشوكتها وعظمتها ثم خضعت لدولة الفرس التى امتدت من نهر الهندوس لغاية صحراء برقة أوليبيا ولكن قبل الشروع فى ذكر أخبار هذه الدولة العظيمة التى هدمها الاسكندر الاكبر ملك مقدونيا نذكر طرفا من أخبار الامم والممالك العظيمة التى تقدمت عليها واندرجت ضمن هذه الدولة فى أيام قيروش وخلفائه وكانت آسيا الغربية مشتملة على عدة ولايات يحدها شمالا الجبل قوقاز (الجركس) والبحر الاسود ومن الغرب بحر الروم المسمى بحر سفيد (البحر الابيض المتوسط) وجنوبا صحراء العرب وشرقا السهول العالية لبلاد فارس وهذه الولايات عبارة عن الدولة العثمانية الواقعة الآن فى آسيا

﴿الفصل الاول﴾

﴿فى تاريخ الآشوريين والبابليين﴾

كانت بلاد آشور عبارة عن الاراضى الواقعة بين ارمانستان والجزيرة وبلاد ميد وبابل وسميت هكذا نسبة الى آشور أو آسور بن سام بن نوح

عليه

عليه السلام وكانت بلاد الكلدانيين فى جنوب آشور بين بلاد الفرس وجزيرة العرب والخليج الفارسى وسميت هكذا نسبة الى كاليدوس بن سام ابن نوح عليه السلام

وأما بلاد بابل بين نهرى الدجلة والفرات وهى المسماة ميزوبوتاميا (أرض الجزيرة) وهى بين آسيا الصغرى وسوريا (أى الشام) وسميت هكذا باسم بابيلون أى مدينة البرج وقيل باب ايل أى مدينة الرب وقد أسسها فى سالف الازمان نمرود الجبار وبعد الطوفان نزل أولاد نوح عليه السلام من جبل عرارات (ببلاد القوقاز) الى الارض وسكنوا بهذه الاراضى وسموها أرض سنهار وتناسلوا واجتمعوا على بناء برج عال يحفظهم من اغارة الطوفان فبنوا برجا على شاطئ نهر الفرات وعلوا بناءهم فأخذتهم صيحة فبلبلت ألسنتهم ودكت برجهم فتفرقوا شعوبا فى الارض فأتى آشور ومن معه وسكنوا شرقى نهر الدجلة وتناسل منهم الآشوريين وأتى كاليدوس ومن معه وسكنوا بجوار نهر شط العرب (نهر الفرات) وتناسل منه الكلدانيين وأتى ارامة ومن معه وسكنوا بين نهرى الدجلة والفرات وتناسل منهم الاراميون وأتى ميد ومن معه وسكنوا شرقى أرمانستان بجانب بحر الخزر وتناسل منه الميديون وأتى عيلام ومن معه وسكنوا فى الوسط بجانب ميد وتناسل منه العلاميون والفرس وكلهم من أولاد سام بن نوح عليه السلام ونزل كنعان بن حام فى أرض بابل ونزل مصرايم أرض مصر

﴿مبدأ سلطنة آشور وبابل﴾

وبعد تفرق بنى حام فى الارض تناسلوا وكثرت ذريتهم فى وقت يسير وكان أول من قام بتدبير مملكة آشور هو آشور فبنى لهم مدينة عظيمة على شاطئ نهر الدجلة وجعلها قاعدة البلاد وفى هذا الوقت بنى كاليدوس مدينة كالده التى محلها الآن كربلا وجعلها قاعدة بلاده وبنى نمرود أسوار مدينة بابل على شاطئ الفرات ثم أخذت هذه الامم فى الارتباط

والاتحادواجتمعوا مملكة واحدة تحت ادارة ملك واحد
وأما ديانة الربانيين أو البابليين وغيرهم فكانت أولاد نوح عليه السلام
بعد الطوفان قد ضلت عن الحق وعبدت الكواكب ثم عبدت الاصنام
واعتقدوا فى الاصنام اعتقادات تامة فكانوا يعبدون صنم بعل مرودا خ
أو بعلوس (الشمس) وكانوا أيضا يعتقدون الالوهية فى بعض الاشخاص
والطيور ويبنون لها الابنية العظيمة والهياكل كما كانت تفعل الفراعنة
المصرية وكذلك عبدوا الملكة سمرّاميس وقالوا انها بعد موتها تحوّلت الى
حمامة وبعد ان كانت بابل وآشور متفرقة تحت رؤساء جعلوا بلادهم
سلطنة واحدة فكانت هى أقدم ممالك الارض بعد مصر وجدّوا فى
الفنون والصنائع والكهنة هم أول من تكلم فى علم الفلك وقسموا
الحركة الشمسية الى بروج وعرفوا كيفية سير الكواكب وحركاتها
وانتقالها وعرفوا المزاول ووضعوا أحرف الكتابة التى أخذها الميديون
منهم وسموها بالكتابة المقدسة ومن الميديين تعلم أهل فارس وتمهروا فى علم
الفلك وأتقنوه للغاية وكانوا يكتبون أسماء الادوية المفيدة فى ألواح
ويعلقونها فى هيكل اله الطب

﴿فى الكلام على ملوك بابل وآشور﴾

﴿ذكر الملك نينوس﴾

وهو أول من انفرد بالحكم فى دولة آشور وكان بطلا حارب البلاد واستولى
على بلاد ميد وأذربيجان والعراق العجمى والعراق العربى وبلاد بابل
وسوريا وبنى مدينة (نينوى) على نهر الدجلة وجعل تلك البلاد جميعها
مملكة واحدة سلطانية وذلك سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وأقام مسلات
ومعابد كثيرة وعمل التماثيل فى (نينوى) وامتد حكمه من سواحل بحر
الهند الى سواحل البحر الابيض المتوسط (أو بحر الروم)

﴿ذكر الملكة سمرّاميس﴾

وهى فى الاصل من نساء بعض أمراء العساكر وكانت ذات قوة عظيمة

فاما

فلما كان نينوس مجدا فى الفتوحات والغزوات رآها فى بعض الوقائع وهى تحارب محاربة الشجعان فاعجبه فراستها فاخذها من زوجها وتزوج بها وسلم اليها فى الامور فلما مات نينوس انفردت بعده بالملك وجدت فى تشييد المدن وأسوار مدينة بابل الذى كان يمر من وسطها نهر الفرات وجعلت فى وسطها البساتين والهياكل وبنت هيكلا عظيما ليكون معبد الصنم بعل أو بعلوس وأقامت له تمثالا من الذهب وبنت فى وسط المدينة برجا ارتفاعه ستمائة قدم وفوقه سبعة أبراج ارتفاع كل واحد منها ٧٥ قدما وجعلت فى أعلى برج منها معبدا فيه مائدة من الذهب وفى أسفل برج معبدا فيه صنم من الذهب وبقربه مائدة وكرسى من ذهب وخارجه مذبحين من ذهب لتقديم القربان ومن بعد ذلك قامت للغزو والفتوحات ولم تقنع بهذه المملكة المتسعة بل أرادت انها تستولى على جميع أراضى الدنيا فغزت بلاد فلسطين وسواحل مصر والحبش ثم عادت لمحاربة الهندستان وكان ملك الهند فى ذلك الوقت مجهزا جيوشه وحصن قلاعه بالعساكر وكانوا يحاربون على الافيال فلما وصلت الملكة سمرّاميس الى الهند أمرت بسلخ البقر ذوات الجلود الحمر فسلخوها وألبسوها للجمال بعد ما فصلوا الجلود على هيئة الافيال ولما التقى الجيشان هجم الهنود بالافيال وقابلتهم سمرّاميس برجالها فانكشفت حيلة الآشوريين فشددوا عليهم الهنود فانهزموا وانهزمت سمرّاميس وعادت الى مدينة بابل مهزومة وتركت الحرب حتى قتلها ابنها نيلاس

﴿ذكر الملك نيلاس﴾

تولى الملك بعد قتل والدته وذلك سنة ٣٥٠ من التاريخ الطوفانى وكان ظالما لقومه ضعيف الهمة يحب الكسل وترك الاحكام بالذات نفسه وكان السريانيون قد تعودوا على الغزو والشجاعة فلما رأوا حال ملكهم أضمروا على أذيته فمن خوفه على نفسه وضع على محله حفرا وحفظة خوفا من الغدر والخيانة ومكث على ذلك حتى مات وبعد موته تعدت

الامراء على كرسى المملكة وصاروا يحكمون واحدا بعد واحد مدة ٨٠٠ سنة ولكن لم تكتسب المملكة منهم فى هذه المدة الطويلة غير الانحطاط والضعف لسوء تدبيرهم ولم يكن لهم ما يذكرون به فى الآثار ومضت مدتهم بدون منفعة واستقلت البلاد التى كان فتحها الملك نينوس وسمرّاميس مثل سوريا والشام وفلسطين ولم يبق تابع لآشور سوى بلاد بابل وبلاد ميد ومن بعد هذه المدة الطويلة تولى السلطنة الملك سردنفول أو سردنبال الآتى ذكره

﴿ذكر الملك سردنبال﴾ من ٨٠٠ - ٧٨٩ ق م

تولى ملك آشور وبابل وكان شابا جميل الصورة ولما حكم ترك الامور وانتبه الى لذات نفسه وكان يمضى أوقاته بالسكر ومجالسة النساء حتى انه كان يتخلق بأخلاقهن وكان يتزين بلبسهن فكرهته الرعية فقام سر عسكر الميديين المدعو ارباس وسر عسكر بابل المدعو بيليزيس واتفقا على خلعه من السلطنة وجمعا ٤٠٥٠٠ فارس وهجموا بهم على آشور وحاصر سردنبال فلما يئس من الحياة جمع أمواله ونساءه وخدمه فى قاعة من قاعات سرايته وأشعل فيها النار واحترقت الدار بما فيها وحرق نفسه ومن معه واستقل ارباس بحكم ميد وبيليزيس بحكم بابل وذلك سنة ٧٨٩ ق م وزالت الدولة الآشورية الاولى

﴿الدولة البابيلية الاولى وذكر فول﴾ من ٧٨٧ - ٧٤٧ ق م

وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم وخروجهم عن طاعة الدولة الآشورية ولكن القائد البابلى أو الكلدانى المدعو باسم فول (بيليزيس المذكور) استولى على الاقاليم الآشورية وجعلها تابعة لبلاد بابل وضم اليها بلادا أخرى ثم ان فول المذكور نزل على سوريا وكان السوريون مقتسمين المملكة عشر أسباط منهم فى سوريا وقاعدة ملكهم مدينة السامرة وسبطان يهوذا وبنيامين كانا يسكنان بلاد فلسطين أو كنعان وقاعدة ملكهم أورشليم فلما أغار فول

على

على هذه البلاد وقاتله ملك الاسباط المدعو منحيم الاسرائيلي وانتصر عليه فول المذكور واستولى على أكثر ولايات سوريا حتى دفع له منحيم ألف طونولاته من الفضة

﴿الدولة الآشورية الثانية﴾

﴿وذكر الملك تجلات فلصر الثاني﴾ من ٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق م

ولم تدم غلبة الكلدانيين على البلاد الآشورية الا لغاية وفاة الملك فول سنة ٧٤٧ ق م ثم قامت الحروب على قدم وساق بين الآشوريين والكلدانيين مدة ثلاث سنين وتمت أخيرا بهزيمة البابليين وتقلد تجلات فلصر عرش الآشوريين والبابليين بما انه كان رئيس هذا الهيجان وذلك سنة ٧٤٤ ق م ولما حكم تجلات المذكور حارب الاراميين وانتصر عليهم مرارا وفي وقتها نزل قوم من الاراميين سكان الجزيرة حاربوا اليهود وانتصروا عليهم فاستنجدوا بتجلات المذكور فأنجدهم بجيوشه وقاتل الاراميين وحاصرهم مدة في القدس ثم افتتحها وسبى أهلها

﴿الملك سلمنصر بن تجلات فلصر﴾ من ٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق م

كان ملكا جبارا يحب الغزو ولما حكم أغار على ملوك سوريا وأهلك كثيرا من الاسرائيليين وأخيرا دفع له الجزية يوشع ملك الاسرائيليين بعد ما أسر ملوك الاسباط العشرة وأدخل مدينة السامرة تحت حكمه وحمل أهلها الى آشور وأتى بطائفة من الآشوريين وأسكنهم فيها ثم نزل على الفنيقيين وقاتلهم وحاصر مدينة صور تحت ملكها مدة سنة ثم تركها وعاد الى بلاده وبهذا الملك انقرضت العائلة الملوكية الآشورية اذ كانوا انقرضوا بالكلية ولم يوجد منهم من يلي المرتبة السلطنية واجتمع الاعيان وقلدوا بمنصب الملك رئيس الجنود المدعو (سرجون) الآتي ذكره

﴿ذكر سرجون﴾ من ٧٢٢ ـ ٧٠٤ ق م

وقد كان هذا الملك من أعظم الملوك أرباب الغزو والجهاد وان كانت مدته قد مكثت مدة قصيرة لكنها قد ألفت على وجه التاريخ بهجة عظيمة

لان الملك سرجون فى مبادى حكمه كان قد أخذ مدينة (السامرة) وأخربها بالكلية وحارب الملك سباقون الحبشى ملك مصر وغلبه فى واقعة (رافيا) ببلاد الشام سنة ٧٢١ ق م ثم شن الغارة على بلاد أرمينيا حتى أدخلها تحت الطاعة الا أشياء قليلة منها وفتح بلاد فلسطين سنة ٧١٠ ق م وكذلك جزيرة قبرص سنة ٧٠٨ وكانت هذه الجزيرة محكومة فى ذلك الوقت بجملة ملوك طوائف صغيرة أصل أكثرهم من اليونان وفى آخر حكمه اختط مدينة (خورزاباد) بدلا عن مدينة نينوى من بعد خرابها ومات مقتولا فى سنة ٧٠٤ ق م حيث قتله جماعة من أرباب الفتن ببابل

﴿ذكر سنحاريب بن سرجون﴾ ٧٠٤ - ٦٨١ ق م كان شجاعا صاحب حروب وغزوات كثيرة ولما حكم آشور وبابل جهز الجيوش لقتال اليهود ونزل على فلسطين وقاتل أهلها فاستعان عليه اليهود بملك مصر سباقون الاتيوبى فانجدهم بجيوشه فكسره سنحاريب (كما تقدم) وحاصر بيت المقدس وكان على اليهود فى ذلك الوقت حزقيا الصالح فلما ضاقت نفوسهم من شدة الحصار تضرعوا الى الله سبحانه وتعالى واستغاثوا به وكان فيهم النبى أشعيا فلما أصبح سنحاريب ورأى جيشه قد تلف منه عدد عظيم خاف على نفسه ورجع الى بلاده ودخل نينوى والتفت الى تنظيم المبانى وبناء الهياكل والمعابد وكانت عادته اذا زار الاصنام يسجد لها مدة فى يوم دخل هيكلا بعد ما تبرك بصنمه سجد طويلا فدخل اثنان من أولاده وقتلاه ثم خافا من أخيهما الثالث وكان جبارا فهربا الى جبال الموصل فى أرمينيا واختفيا هناك ثم أتيا الى بيت المقدس واستجارا بحزقيا ودخلا فى ملته

﴿ذكر الملك آسارادون بن سنحاريب﴾ من ٦٨١ - ٦٦٨ ق م حكم آشور وبابل وأخذ فى الغزوات وكان ملوك الاسباط بعد سنحاريب قد استقلوا بملكهم فنزل عليهم وقاتلهم كثيرا ودخل مدينة (السامرة)

بالسيف

بالسيف وسبى أهلها وبعد انتصاره على سوريا نزل فلسطين وقاتل اليهود وأسر منشا بن حزقيا ملك اليهود واستولى على كنعان وديار مصر ثم اعتراه المرض وأحس بالعجز عن القيام بواجب الملك فتنازل عن سرير المملكة لولده البكرى المدعو آسور بانيبال فى سنة ٦٦٨ ق م

﴿ذكر آسور بانيبال﴾ ٦٦٨ - ٦٤٧ ق م

كان هذا الملك هو آخر الملوك الآشوريين المجاهدين وهو الذى يعرف عند اليونان باسم سردانابال الثانى ومكث مدة ثلاث سنوات متواليات بالديار المصرية وهو يقاتل الملك (طهراقه) ملك الاتيوبيا وينازعه فى مملكة مصر واستولى على مدينة طيبة (بالصعيد) مرتين وأسلمها الى السلب والنهب ثم انتهى أمره لان ترك الديار المصرية حيث رأى ان ملك مصر يحتاج الى كثير من المشقة والتعب وكان له أخ يدعى (سامولسموجان) كان عاملا من طرفه على بابل فقام عليه وأراد أن يستقل بنفسه ورفع لواء العصيان واستعان فى ذلك بملك بلاد العرب وذلك فى سنة ٦٦٢ ق م ووقعت بينهما حروب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود القوم الخوارج فهزمهم ملك نينوى وأخذ أخاه أسيرا ثم أطلق سبيله وعفا عنه ولما توفى آسور بانيبال تملك على مملكة نينوى ولده يدعى باسم (آسور دياليلى) وفى أيامه خرج عليه ملك الميديين (فراوورت) وأغار على بلاد آشور فقابله (دياليلى) هذا بجيوشه فى مضايق الجبال الكائنة بتلك البلاد فى سنة ٦٣٥ ق م وحصلت واقعة وقتل بها الملك (فراوورت) المذكور وهلكت الجيوش الميدية وهذه غاية نصرة عسكرية حصلت على يد ملوك الطبقة الثانية بمدينة نينوى وكان موت الملك آسور دياليلى سببا فى ظهور الفتن والاختلال فى بلاد السلطنة الآشورية فحضره ملك الميديين (سياكزار) بجنوده أمام مدينة نينوى وحصرها وضيق عليها وكان العامل الكلدانى المدعو (نابو بولاصر) قد أثار الفتنة فى مدينة بابل وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها

وكادت مدينة نينوى ان تسقط لولا ما حصل فى ذلك العصر من اغارة القوم السيثيين (قبائل يأجوج ومأجوج) على بلاد الميديين سنة ٦٢٥ فرجع الملك سياكزار من الحصار وأراد أن يوقف اغارة هؤلاء الاقوام ومكثت الاغارة المذكورة مدة ١٩ سنة وكان الملك (ساروق آسور آقوس) قد قبض على قضيب الملك بمدينة نينوى فى تلك المدة وبعد خروج السيثيين من البلاد الميدية عاد سياكزار الى ما كان عليه وحاصر مدينة نينوى وأخذها بعد قتل الملك (ساروق) وحرق القصور والهياكل العديدة وصارت مدينة نينوى عبارة عن تلال وأطلال متهدمة وذلك سنة ٦٠٦ ق م وهذا هو خراب مدينة نينوى الاكبر لانها لم تعد للعمارة مرة أخرى بعد ذلك

﴿الدولة الكلدانية أو البابيلية الثانية﴾

﴿ذكر نابوكودونوزور﴾ ٦٠٧ - ٥٦١ ق م

وهو المعروف عند مؤرخى العرب باسم بختنصر الجبار تولى بعد موت أبيه نابوبولصر سنة ٦٠٧ ق م وهو أشهر ملوك بابل وأعظمهم ففى مبدأ حكمه نزل بلاد الموصل ودخلها بالسيف ثم حارب الاسرائيليين ونزع منهم أيالات سوريا وكانت وقتئذ فلسطين أيالة خراجية يحمل ملكها يهوياقيم الجزية سنويا الى نيخاؤس ملك مصر فلما فتح بختنصر سوريا حمل اليه يهوياقيم الجزية بدون قتال فتحول عنه وسار لقتال الفنيقيين وحاصر مدينة صور وفى هذا الوقت عصى يهوياقيم فعاد اليه بختنصر وأسره وحمله الى بابل ومعه طائفة من الاحبار (علماء العبرانيين) وكان منهم دنيال عليه السلام وعاد بختنصر الى محاصرة سوريا وكان قد تولى على اليهود (يخنيو) بن يهوياقيم فعصى على بختنصر فارسل اليه وحمله الى بابل فمات بالطريق وولى مكانه عمه المدعو صدقيا فجمع اليهود وعصى على بختنصر بمساعدة ملك مصر المدعو ابرياس فأتى ملك بابل وقتل خلقا كثيرا من اليهود وأسر صدقيا وكحله بالنار وقتله

ونهب أمتعة بيت المقدس وحرقها ولحق القدس الخراب الاكبر وهو الخراب الثانى وذلك سنة ٥٨٨ ق م وتشتت اليهود فى البلاد وأتت منهم طائفة الى مصر فاجتمعت بفرعون مصر نيخاؤس فطلبهم بختنصر منه فأبى وتجهز لمحاربته والتقيا المصريون والبابليون فى مدينة (قرقيش) جهة الفرات وكسر نيخاؤس ودخل مصر مهزوما وعاد بختنصر الى صور ودخلها بالسيف ونهبها وسبى أهلها بعد ان حاصرها مدة ١٣ سنة وبعد رجوعه الى بابل تجبر وتمرد ودعى الناس الى السجود لتمثاله وفى آخر حكمه سلب عقله فترك المملكة وخرج الى الغابات وأقام بها وصار يقتات بالحشائش وفى هذه المدة كانت امرأته نيتوكريس تدبر الامور ثم انه شفى من مرضه وعاد الى المملكة وحكم سنة واحدة ومات

﴿ذكر الملك بلطازار﴾

وهو آخر ملوك الدولة البابلية الثانية تولى ملك بابل وآشور وعلق على اللذات فترك الامور للحكام وفى ذات يوم جمع أحبابه وندماءه فى وليمة أعدها لهم وكان يوم عيد عند البابليين فبينما هم فى حالة الانس وشرب المدام اذ فاجأهم فيروش بجنوده الفارسيين ودخل المدينة من مجرى النهر على حين غفلة من أهلها فاتفق ان أحد قواد عسكر العجم المدعو باسم (دارا الميدى) المكلف بهذه الاغارة الليلية قتل بلطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده الولاية الستراپية على بابل وبذلك زالت مملكة آشور وبابل بالكلية سنة ٥٣٨ ق م

﴿الفصل الثانى﴾

﴿فى تاريخ الميديين والعجم﴾

بلاد ميد عبارة عن أرض أزربيجان وهى تحدّ من جهة الشمال ببحر الخزر وبلاد أرمينيا والغرب ببلاد آشور الاصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفرثية وهى القطر الكائن بشرقى العراق العجمى وغربى خراسان الآن وجبال الخزر تستر

سائر سطح الجهة الشمالية منها وفى تلك الجهة أيضا ما يوجد من الانهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم فورش أوقور والثانى يسمى آراس وقد كانت مدنها الاصلية فى سالف الازمان كل من مدينة ايكباتان (وهى المعروفة الآن بهمدان) ثم مدينة (راجيس) أى مدينة الرى الآن أما حدود بلاد فارس أوفارستان فقد كانت فى سالف الازمان عبارة عن الارض المحصورة ما بين بلاد ميد المذكورة أعلاه والخليج الفارسى من جهتى الشمال والجنوب وبلاد الكرمان وبلاد بابل من جهتى الشرق والغرب وفيها من جهتى الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول اليها الا بغاية الصعوبة وكانت مدنها الاصلية فى سالف الازمان كلا من مدينة برسبوليس (ولعلها الآن اتشهيل منار أواستخر) ثم مدينة بازار جادوهى مدينة (بازا أوفازا)

﴿ديانة الفرس والميديين﴾

وكانت ديانة الفرس تمتاز بصفة روحانية عن ديانة الآشوريين فان الفرس كانوا يعترفون بوجود ذات عليه لا يحويها مكان وكانوا يعبدون النار ويعدونها كأشرف العناصر

واعلم ان الذى أسس دين القوم الفارسيين فى سالف الازمان هو زرادشت ولم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجوده هذا الرجل الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان فى القرن الخامس أوالسادس والعشرين قبل المسيح عليه السلام ولا يعلم شئ ثابت صحيح فيما يتعلق بحياة زرادشت المذكور غير انه قد كان هو المنشئ للمذهب الدينى الذى اسمه لغاية الآن مشهور وقد دون أحكامه الدينية فى كتاب يعرف الآن باسم (زندوستا) ولا يعرف له أيضا وطن معين ويقال انه كان فى بلاد بكتريان

﴿أورموزد وأهريمان﴾

وقد كان أورموزد فى اعتقاد زرادشت ومن تبع دينه عبارة عن الله الخير فيقولون بانه هو الذى خلق الخلق وهو الروح العاقل الحكيم ويعبرعنه

بروح القدس وأصل الخير ويتصور عندهم بالنور والشمس والنار يدعونها بصفة ولده وانه خالق كل شئ وله اله آخر وهو على الدوام والاستمرار خصم له وان اله الخير في نزاع مستمر بقصد ان يتسلط عليه ويعلو فوقه وانه هو الروح الخبيث أو أصل الشر ويدعونه باسم (اهريمان) ويقال انه خلق الشر والموت ولابد ان يأتي عليه يوم في آخر الزمان يغلبه اله الخير ويعلو عليه ويستحيل اله الشر الى حالة العدم وتعود الخليقة كما كانت قبل من الصفو والنقاوة ويذهب اهريمان المذكور الى حيث لا يرجع ويسمى مذهب زرادشت هذا بالديانة المزدية وأما ديانة المجوس عبارة عن مذهب اعتزال ناشئ عن أصل دين زرادشت مبني على عقيدة التثنية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصلين أرموزد واهريمان اللذين هما اله الخير واله الشر عندهم ويتعبدون لعدد عظيم من الآلهة المتعددين والاصنام المعبودين حيث سرى لهم ذلك من ديانة الامم المجاورة لهم لاسيما الآشوريين وهذا أمر مناقض بالكلية لاصل شريعة زرادشت الاصلية

﴿ذكر الدولة الميدية﴾

﴿ارباس والدولة الجمهورية الميدية﴾

قد تقدم ان ارباس وفول البابلي قسما المملكة الآشورية قسمين واستقل كل منهما بقسم وبعد هذه الفتنة استقر ارباس في بلاده الاصلية الا انه لم يكن فيها ملكا حقيقيا بل كان قائدا عسكريا ورئيسا جهاديا لملة مرتبة ترتيبا سياسيا أساسيا على هيئة ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجمهورية وبقي الحال كذلك حتى لحقته الوفاة فاستمر الميديون على تلك الهيئة الجمهورية من بعد وفاته غير انهم لم يوجد فيهم من يقوم بأشغالهم فتفرق شملهم وتمزق حالهم وبعد زمن قليل قامت الدولة الآشورية من سقطتها في أسرع وقت وأعادت قوتها العسكرية

فقامت هذه الدولة وعزمت على اعادة الدول التى كانت خرجت عن طاعتها لولا تعصبات الامم عليها وقد كادت بلاد ميد أن تقع فى حباله أسر الدولة العراقية بالثانى ثم استمروا على ماهم عليه الى ان اجتمعوا فى هيئة دولة واحدة قوية واتخذوا هيئة الحكومة الملوكية

﴿ذكر ديجوسيس ومنشأ ترتيب الملك ببلاد الميديين﴾

كان هذا الملك فى مبدأ أمره رجلا معتبرا فى قومه فبذل جهده بان يقضى بالحق بين أهل عشيرته بخلاف سائر القبائل الميدية الاخر ولما شاهد أهل بلاده حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلك فى جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة واستمروا على ذلك الى ان ولوه ملكا عليهم وبعد ذلك أمرهم بان يشيدوا له قصرا يليق بمرتبته ويرتبوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته فامتثلوا لذلك الامر وبنوا له فى المكان الذى أشار اليه عمارة جسيمة متسعة حصينة ودار مملكة جميلة متينة وأباحوا له ان ينتخب من شاء من جميع أفراد الامة ليكونوا لنفسه طائفة حرس ملوكية ويجردان صعد على سرير الملك أخبر الرعية على ان يبنوا له مدينة ويزينوها بانواع الزينة ويحصنوها بالاقلاع فاذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له ما أمرهم به وهى المسماة فى ذلك الوقت باسم (ايكباتان) وهى مكانها الآن (همدان)

﴿ذكر الملك فراوورت﴾ من ٦٥٧ - ٦٣٥ ق م

ولما مات الملك ديجوسيس تولى بعده ولده المدعو فراوورت وكان ملكا مغازيا محبا للجهاد ولا نعلم شيأ صحيحا من أخبار أوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد أشغلها بطرد الآشوريين من سائر الاماكن التى كانوا لم يزالوا عليها مستولين من بلاد ميد ولم يبتدئ فى مغازيه الكثيرة الا فى سنة ٦٥٠ ق م فأطاع أولا بلاد فارس الاصلية وكانت فى ذلك العصر قد أخذت فى ان تتكون فى هيئة مملكة متحدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مديدة وهى متجزئة الى عدة قبائل صغيرة متعددة وكان

ملك الفرس المسمى عند اليونان باسم آشيمينوس هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه الملك فراوورت وأدخله تحت طاعته واليه نسبت العائلة الاشيمينوسية وهى التى تسمى عند العرب والفرس بعائلة الكيانية

ولم تك همة هذا الملك قاصرة على فتح تلك الجهات بل انه أطاع لدولته سائر الامم المتوطنين وراء جبال (هندوكوش) وأدخل أيضا بلاد بكتريان (وبكترية) وملحقاتها من ولاية (هركانيا) والمرجيان والسوجديان تحت طاعته وكانت الامة الارمينية مذعنة بالتبعة لسلطنته وحيث كان الملك فراوورت قد استولى على جميع هؤلاء الامم وبذلك جعل المملكة الميدية سلطنة جهادية متسعة ودولة عسكرية حربية وظن انه يمكنه الاستيلاء على مدينة نينوى وكانت قامت من سقطتها السالف بحثها وعظمتها بعناية الملك ديايلى وشرع فى ان يطيعها الدولته لكن خاب أمله وهلك هو وجنوده جميعا وذلك فى سنة ٦٣٥ ق م

﴿ذكر الملك سياكزار﴾ من ٦٣٥ ـ ٥٩٥ ق م

ولما مات الملك فراوورت تقلد ابنه المسمى سياكزار عملك الميديين فكان أكثر حبا للجهاد من والده وفى مبدأ أمره خرجت عن طاعته أمة الفرثيين فسار اليهم بجيشه وحاربهم وأطاعهم ثم عزم على تتميم قصد والده وهو فتح مدينة نينوى ولحسن تدبيره وسياسته تعاهد مع ملك الكلدانيين وهو نابوبولاصر وزوج ابنته لابن ملك الكلدانيين المذكور وهو بختنصر السابق الذكر بشرط ان يقتسما دولة بنى آشور فاجتمع جيش الميديين مع الكلدانيين وأغاروا على مملكة آشور وذلك بعد وفاة ملكها (ديايلى) سنة ٦٣٥ وحاصروا مدينة نينوى الا ان فى ذلك الوقت نزل أقوام عديدة من السيتيين وشنوا الغارة على سائر البلاد الميدية فرجع الملك سياكزار من الحصار وأراد ان يوقف اغارة هؤلاء الاقوام فلم يمكنه ان انهزم واضطر لان يصير تحت طاعة هؤلاء الاقوام المتوحشين واستمروا

مدة ١٩ سنة يخربون فى بلاد آسيا الى ان وصلوا الى الديار المصرية ثم قام الميديون وأشهروا لواء العصيان وطردوا من كان عندهم من هؤلاء الاقوام

و بعد ذلك قام الملك سياكزار وجدد المعاهدة مع نابوبولصر لتنفيذ ما كان قد عقد عزيمته عليه وتحبب اليه العزم على خراب مدينة نينوى فقاما لحصار تلك المدينة وظفرا بها تمام الظفر وقسما البلاد الآشورية الى قسمين فأخذ الميديون جهة الشمال واستولى البابيليون على جهة الجنوب ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعنى سنة ٦٠٣ ق م حصلت حروب بينه و بين ملك الليديين تمت هذه الحروب أخيرا بالصلح بينهما وتزوج ابن الملك سياكزار المدعو استياج بابنة الملك أليات ملك الليديين

﴿ذكر الملك استياج وزوال مملكة الميديين﴾ من ٥٩٥ - ٥٦٠ ق م

وكان استياج بن سياكزار المذكور قد خلف أباه على سرير الملك فى سنة ٥٩٥ ق م وكان ملكا ظالما فخورا لا مجد له وكان قد رأى فى المنام انه يعزله عن سرير مملكته ابن بنته المسماة باسم (منداته) وكان قد زوجها بولد من ذرية العائلة الفارسية القديمة يدعى قبيز (غير قبيز الذى فتح مصر) فاراد ان يقتل الطفل الذى ولدته ما عند ولادته وهو (قيروش) وكلف بهذه المأمورية رجلا من كبار ضباطه يقال له هرباجوس وهذه القصة مبنية على ما حكاه أهل فارس نفسهم فى حكاياتهم الاهلية وروايتهم التاريخية ان هرباجوس المذكور لما أمره الملك استياج بفعل هذه المأمورية أخذته الرأفة على هذا الطفل فألقاه عند راع من الرعاة فلما كبر خرج ذات يوم يلعب مع الاطفال ويجرى صورة رسوم المملكة عليهم ويلقى الاوامر العلية اليهم فعرفه الملك بتقاطيع وجهه فأخذه الى قصره وضمه الى دولته وانتقم الملك من هرباجوس المذكور بان أطعمه لحم ابنه فى هيئة لحم جدى مشوى فحقد عليه هرباجوس المذكور وحمل قيروش على الخروج عن طاعة جده وساعده على ذلك

فعمل

فعمل الحيلة وتوصل لان أشعل نيران الفتنة والعصيان عند أبناء أوطانه الاصليين أعنى الاقوام الفارسيين وكان الملك استياج قد أساء التدبير اذ قلد هرباجوس هذا بر ياسة جنده المتوجه لقمع الفتنة لداعى ما كان قد أسره فى باطنه من الحقد عليه بما أجراه من ذبح ولده واطعامه اياه فترك راية الظفر ومزية الغلبة لرئيس جند القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك بنفسه على رأس جنوده وأراد ان يدفع الجنود الفارسية فلم ينجح ووقع نفسه فى يد أعدائه وكان قد مكث على سرير السلطنة مدة ٣٥ سنة وهو آخر ملوك الدولة الميدية

تاريخ الفرس القديم

﴿ذكر قيروش﴾ ٥٥٩ ـ ٥٤٥ ق م

وكانت هزيمة استياج المذكور وافتتاح بلاد ميد أن صار بيد الملك قيروش (كسرى الاول) الولاية السلطنية على سائر البلاد التى كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصا على الامم الارانيين المتوطنين فيما وراء جبال (هندوكوش) وصحارى بلاد القرمان فبادر بوضع اليد بالفعل عليها وأجرى رسوم السلطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك الامر سهلا عليه اذ كان سائر الملل يميلون اليه

ولما كانت بلاد بكتريان معرضة لكثرة اغارات الاقوام الاغراب وتكرر سقوط هؤلاء القبائل المتوحشة عليها بالقتل والنهب كان أول ما تعلقت به همة الملك قيروش ان ابتدأ لقصد الحصول على الامن فيها بان حارب القوم التورانيين (المسميين الساسيين) وهم قوم من أقوام (يأجوج ومأجوج) كانوا قاطنين حوالى ينابيع نهر سيحون (سيرداريا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى (آمورجيس) وجعل بلادهم ستراپية أى محكومة بحاكم يدعى ستراپ (أى مرزبان) بمعنى العامل على اقليم من أقاليم الدولة الفارسية وفتح البلاد المجاورة لجبال القوقاز

بعـدان قاسى فيها مقاسات عظيمـة وهلك منه اناس كثيرون وقد أدخل تحت طاعته كلا من اقليمى طاغستان والجرج والاقوام المدعوون باسم (الكولشـيديين) سكان اقليم كولشـيدة (وهو المعروف الآن بولايتى ايمرسيا ومنغرليا) وكذا الاقوام الذين كانوا قاطنين فى الجبال الكائنة على الساحل الجنوبى الغربى من بحر الخزر وهم الماردون والمكرونيون وأمة الطبرانيـين وهم قوم كانوا مشهورين عند الامم السالفين من أقدم الاعصار السالفة بعمل المصنوعات المعدنية وباختراع حديد الصلب كلهم كانوا أطاعوا الصواتـه ودخلوا تحت أسر دولتـه وبذلك صار قيروش الفارسى المذكور مستوليا على سائر الاقطار الكائنة بآسيا الصغرى (بلاد الاناضول الآن) الى حد نهر قزيل يرموق

وكان كريزوس ملك الليديين (أمة بآسيا الصغرى) معاصر القيروش وكان هـذا الملك مشهورا بغناوته فاتفق ذات يوم انه وجد أحد فلاسـفة اليونان المدعو سولون فى معيته فسأله هل يوجد أحد فى الدنيا أغنى منى فجاوبه هـذا الفيلسوف اليونانى قائلا ان الانسان لا يعد نفسـه غنيا الا اذا انقضت باقى أيامه بالسـلم فلم يمض مدة من الزمن الا وقد ثبت كلام هذا الفيلسوف الاجنبى

(نصرة قيروش على كريزوس) ولما علم كريزوس بنصرة العجم على الميديين فبالنسبة لقرابته لاستياج (صهره) عزم على كسر شوكة الاعجام وكان قد أخبره أحد كهنة المعبود (دلفوس) انه اذا تعدى نهر قزيل يرموق لحرب مملكة عظيمـة فنظرا لذلك قام لمجادلة الاعجام فالتقى الفريقان فى محل متسع أمام مدينة (سردوس) قاعدة سلطنة الليديين وتم الامر بهزيمـة الملك كريزوس ووقع فى قبضـة الاسر فامر قيروش بالقائه فى النار فصاح ملك الليـديين قائلا سولون ثلاث مرات فأراد قيروش ان يستفهم عن سبب ذلك فقص عليـه القصـة فلما سمع ذلك قيروش أخذته الرأفة وخاف من تقلب الازمان وأطلق سبيل كريزوس

وعامله

وعامله بالاحسان وكان فى أغلب الاوقات يستشيره فى مشروعاته
وبعد أن خضع قيروش آسيا الصغرى هجم على مدينة بابل ولم يمكنه
الاستيلاء عليها بالنسبة للحصون والقلاع المحصنة فتصنع بحيلة وهى انه
أمر بتحويل مياه نهر الفرات الى بحيرة صناعية فنقصت المياه الى ان
صارت لقرب الرضفة فدخل الفرس المدينة حيث كانت الاهالى مشتغلة
بيوم العيد فلم يروا الا مساء دخول الفرس عليهم واستولى قيروش على
المدينة وقتل أحد قواده المدعو باسم دارا الميدى الملك بلطازار بن نابونيد
كما تقدم
وبعد ذلك بسنتين ترك سبيل القوم العبرانيين الذى كانوا بمدينة بابل
مأسورين وأذن لهم ببناء هيكل أورشليم (بيت المقدس) بالثانى وذلك
سنة ٥٣٦ ق م
وبعد ان أتم فتوحاته رجع الى محاربة الماساجيتيين أمة من السيتيين
(يأجوج ومأجوج قوم من الاتراك) كانوا قاطنين حوالى شاطئ بحيرة
الخزر فلم يمكنه اطاعتهم فتصنع الملك بترك معسكره فدخل الماساجيتيين
وشربوا النبيذ الذى تركوه الاعجام فغابت عقولهم فعاد قيروش ومن
معه وقتلوا خلقا كثيرا منهم فقتل ابن ملكتهم (تومبريس) فأرادت هذه
الملكة ان تأخذ بثار ولدها فعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس فتم
الامر بنصر الماساجيتيين على الاعجام وقتل قيروش فى أثناء ذلك ويقال
ان (تومبريس) المذكورة قطعت رأسه وغمرتها فى قربة مملوأة بدم القتلى
وهى تقول (فلاشبعنك من دم البشر الذى كنت ترتوى منه مدة حياتك)
ومات قيروش سنة ٥٢٩ ق م وترك ولدين الاكبر منهما يدعى قمبيز كان
قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والاصغر يدعى سمرديس كان
قد تقلد بالعمل على ولاية بلاد بكتريان من أعمال سلطنة فارس بشرط
ان لا يدفع لاخيه خراجا وانما يعترف له بالاعلوية السياسية ولما تولى قمبيز
وجه همته لان يشهر نفسه بالفتوحات فقام أولا لفتح الديار المصرية كما تقدم

﴿الفصل الثالث﴾
(فى تاريخ الليديين)

اعلم ان مملكة الليديين كانت مملكة واقعة فى غربى آسيا الصغرى وكان قيروش فتحها بعد ان فتح مملكة الميديين وكان تختها مدينة (سردوس) وهى مدينة على ملتقى نهرى بكتول وهرموس وكانت مياه نهر البكتول تحتوى على صفائح ذهبية ومن هنالك أتت ثروة ملوك ليديا التى طالما بولغ فى كثرتها

﴿ذكر قندول وجيجيس﴾

وقد مكثت هذه المملكة مدة طويلة وهى حاملة الذكر وكان يحكمها الهرقيليون (أى ذرية هرقول) وآخر الهرقيليين هو قندول وقد حكى أفلاطون وسيسورون ان أحد رعاة الملك المسمى جيجيس وجد فى صورة حصان من نحاس أصفر خاتما عجيبا خاصيته اخفاء من كان حامله عن أعين الناس فأخذ جيجيس وبواسطة هذا الطلسم دخل قصر قندول وقتله واغتصب الملك وهذه القصة رويت عن هيرودوت ورويت بعبارات أكثر قبول للعقل من هذه وهى ان سبب قتل الملك قندول انه ذات يوم أمر امرأته ان تكشف وجهها على جيجيس فلما وجدت ما حصل لها من الاساءة حيث كانت هذه العادة مذمومة عند أهل الشرف فعزمت الملكة على ان تعاقب من أخل بشرفها وعزمت ان لا تخلى سبيل جيجيس وقالت له اما ان تقتل قندول الملك واما ان تقتل نفسك وبناء على ذلك قتل الملك وجلس على كرسى المملكة وذلك سنة ٧٢٨ ق م

﴿اغارة السميريين على آسيا الصغرى﴾

وكان لليونان جملة نزل على سواحل آسيا الصغرى وهذه النزل كانت تمنع الليديين من الوصول الى البحر فقام جيجيس المذكور وحارب سكان النزل اليونانية واستولى على مدينة كلوفون فلما مات سنة ٧٢٠ ق م

قام

قام ابنه المدعو اردبس وأخذ مدينة بريين وهدد مدينة (ميلته) ثم هلك هو وجيوشه فى اغارة السميريين الذين طردتهم السيتيون من بلادهم فأتوا الى آسيا الصغرى وهجموا عليها هجمة السيل على الاباطح فأغرقوها فى بحر ظلمهم ودخلوا مدينة (سردوس) ولا نعلم ما فعلوه هؤلاء الاقوام لكنهم قد انقرضوا بالحروب شيأ فشيأ وفى سنة ٦١٧ قام (اليات) وطرد من بقى منهم من بلادهم وكان فى ذلك العصر حصلت اغارة السيتيين على بلاد ميد كما تقدم

وفى سنة ٦١٠ قام حصل بين الليديين والميديين حروب طويلة انتهت بالصلح عند ما شاهدوا حادثة كسوف الشمس وتزوج استياج بن سياكزار ملك ميد بابنة ملك الليديين (اليات) وحصل بين الفريقين جملة مواثيق وعهود

﴿ذكر كريزوس بن اليات﴾

ولما مات اليات قام بالامر بعده ابنه كريزوس وهو آخر ملوك هذه الدولة وكان ملكا قد اشتهر فى الازمان السالفة والاحقاب الخالية بالغناوة والثروة فلما علم بان قيروش هزم استياج صهره قام لمساعدته (كما تقدم) فالتقى مع جيوش الفرس ووقعت بينهما مقتلة شديدة هلك فيها نفوس عديدة من الطرفين الا انه لم تتحقق النصرة لاى الفريقين حتى دخل الليل فانتهى بذلك الحرب فعاد كريزوس الى مدينة (سردوس) التى هى قاعدة سلطنته ومركز حكومته وبعث يطلب المدد من الديار المصرية وبابل واقدمونيا (ببلاد اليونان) لما كان بينه وبينهم من العهود وعزم على ان يعود بالحرب فى فصل الربيع الآتى ثم بلغ الخبر ملك الفرس بان كريزوس اعتمد على طول المدة وفرق شمل جنوده فبادر فى الحال ملك الفرس وحاصر مدينة سردوس فجمع ملكها ما قدر عليه من العساكر والتقى الصفان والتحم الجيشان فى سهل متسع عظيم مكشوف أمام مدينة سردوس المذكورة عند ملتقى نهرى هيلوس وهرموس وهو

النهر المعروف الآن بنهر (شرابات أو القادوس) بالقرب من مدينة أزمير فهزمت الجيوش الليديون شرّ هزيمة وانحصر الملك كريزوس في مدينته أربعة عشر يوما من ذلك الحصار هجم ملك العجم بجنوده على تلك المدينة فدفعهم القوم المحصورون في أوّل الامر وكان بعض جنود الفرس قد لحظ بالامس طريقا يوصل الى مكان من سور القلعة فأرشد اخوانه اليه وصعد عليها وتبعه كثير من أصحابه وبذلك دخل قيروش المدينة وزالت مملكة الليديين

﴿الفصل الرابع﴾

(في تاريخ الكنعانيين والفنيقيين)

وقد كانت مدائن الكنعانيين من أوّل الامر على سواحل الخليج الفارسي في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفي سنة ٢٥٠٠ قم تقريبا كانوا قد اضطروا للخروج من مساكنهم الاولية هذه اما لداعي زلازل أرضية وقعت فأخرجتهم منها كما ذكر ببعض الروايات واما لداعي حروب حصلت بينهم وبين ملوك بابل وكانوا قد انتصروا عليهم فيها فاضطروا للمهاجرة من أوطانهم الاصلية وهاجروا كلهم منها الى بلاد الشام ولما استقروا بها تغلبوا على تلك البلاد ووضعوا اليد عليها وتفرقوا هنالك الى فروع عدة طوائف منهم مكثت ببلاد فلسطين وبعضهم مكث بين جبل لبنان والبحر المتوسط ومنهم قبيلة تعرف باسم (الهيثيين) استقرت بوادي نهر العاص وقسم أغار على مصر مسترشدا بجماعة من القوم (الهيثيين) المذكورين واستولوا عليها وهم المعروفون باسم أمة الهكسوس السابقة الذكر

أما أمة الفنيقيين الموصوفة بالجراءة والنشاط وحب السفر لما رأت نفسها محصورة بين جبال لبنان والبحر الابيض وجهت همتها للملاحة والتجارة فامتدّت أسفارها الى أقاصي العالم المعروف وقتئذ وبهذا زادت ثروتها وقوتها حتى فاقت عن غيرها في الصنائع التي منها معرفة عمل

الزجاج

الزجاج الذى أخذته هو وباقى معارفها من المصريين وقد اشتهرت منسوجات الفنيقيين المصبوغة باللون القرمزى كما وانه ينسب الى هذه الامة اختراع فن الكتابة التى وصل منها الى اليونان وقد اشتهرت مدن فنيقيا منها مدينة صيدا وصور

﴿مدينة صيدا﴾

و بينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفتحوها فى ذلك العصر (ملوك الرعاة) قد كان من بقى من مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيداويين (أى سكان مدينة صيدا) يظهر انهم لم يكن لهم أطماع حربية ولا رغبة جهادية فى الارض القارة فلذلك انصرفت قوتهم وتجردت نشاطتهم وشهامتهم للتشبث بالاعمال البحرية وقد مكثت (صيدا) فى قبضة المصريين من العائلة الثامنة عشرة الى العائلة المتممة للعشرين

وفى عصر فرعون رمسيس الثالث ملك مصر أغار على فنيقيا قوم يعرفون بالقوم الفلسطينيين وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريت) وكان أول نزولهم على سواحل بر الشام نواحى (غزة) و (اشدود) و (عسقلان) و بعد ذلك بنحو مائة سنة كانت قد اشتدت قوتهم وامتدت شوكتهم حتى تعلقت أطماعهم بان يستولوا على سائر بلاد سوريا الجنوبية وتجاروا على ان شنوا الغارة على بنى اسرائيل و وقعت لهم عدة وقائع حربية كان لهم فيها النصر عليهم و بذلك استولوا على سائر بلاد بنى اسرائيل وأذاقوهم أشد الجور والظلم مدة أكثر من نصف قرن وفى سنة ١٢٠٩ ق م قام اسطول من سفن الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين غفلة أمام مدينة صيدا ولم يكن عند أهلها استعداد لذلك فنزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيدا) الفنيقية العظيمة هذه التى كانت بنت كنعان البكرية وأخذوها بالقوة القهرية وأخربوها وأزالوها من ظهر الدنيا بالكلية وهذا هو المسمى بعصر الصيداويين أى وقت ان كانت

صيداهى مركز قوة الفنيقيين

﴿مدينة صور﴾

وقد كانت جموع الاقوام المهاجرين من أهل (صيدا) قد اجتمعوا فى مدينة صور وكانت هذه المدن لغاية ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية من جملة المدن الفنيقية وبواسطة هذه الحادثة تحولت حالها وتغيرت صفتها وارتقت حالتها دفعة واحدة وبلغ عدد سكانها الى أكثر من أضعاف ما كانوا عليه مرتين وصارت هى الكرسى الاصلى والمركز السياسى لسائر المدن الفنيقية بعد ان كانت لهم هى المركز الدينى فقط وخلعت مدينة صيدا من كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية وكان بها معبد بعل ملوخ (ميلكارت)

﴿ذكر محالفة مدينة صور مع بنى اسرائيل﴾ فى سنة ١٠٥١ ق م وقد كان نزول القوم الفلسطينيين المذكورين سببا فى تبديل أحوال العلائق التى كانت بين بنى اسرائيل والفنيقيين فى ذلك الوقت وذلك ان الاسرائيليين فى أول مبادى فتحهم لبلاد الشام كانوا أعداء للصيداويين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والفنيقيون ان القوم الفلسطينيين قد شنوا الغارة عليهم دفعة واحدة وظفروا بهم نخوفا من ان يستولوا عليهم ويستعبدوهم استعبادا مخلدا تمكن فى أذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين وكان الملك (هرام) الثانى ملك صور معاصر السيد نا داود عليه السلام ملك اليهود فبعث اليه رسلا من طرفه عقدوا معه عقد محبة بين الملكين المذكورين ثم تفرغ الملك هرام الى بناء الهياكل والمعابد والقصور بمدينة صور وغير ذلك فبينما كان ملك صور المذكور مشتغلا بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفى داود وخلفه على سرير الملك ولده سليمان عليهما السلام فبادر ملك صور وهو هرام بان بعث الى القدس الشريف سفارة لقصد تهنئة ولد حليفه على تقليده بملك بنى اسرائيل وكان داود

قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان بان يبنى هيكل بيت المقدس لعبادة المولى سبحانه وتعالى فطلب هرام لمساعدته وتعاهدا على أن يعملا بمصاريف مشتركة وذلك سنة ١٠١٨ ق م ولما مات هرام المذكور خلفه ملوك لا فائدة فى ذكرهم بالنسبة لعلم التاريخ

﴿تأسيس مدينة قرطاجة﴾

ولما مات (ماتان) ثالث ملوك هذه العائلة كان قد خلف اثنين أحدهما ذكر يبلغ من العمر ١٢ سنة يدعى باسم (بجماليون) والثانى أنثى كانت أكبر منه سنا تسمى (الياسار) وكان أبوهما قد عهد اليهما بالاشتراك فى الحكم وكان عوام الرعية يرغبون فى تغيير صورة ولاية الامر الفنيقية من هيئة الحكومة الملوكية ويبدلونها الى هيئة دولة أهلية فأثاروا فتنة داخلية وولوا على سرير المملكة الصورية بجماليون وحده دون أخته واتخذوا له مجلس شورى من أرباب المناصب الدولية المساعدين على هيئة الدولة الاهلية وبذلك خرجت أخته من حق المملكة فما كان منها الا ان تزوجت برئيس طائفة خدمة المعبود (ميلكارت) المدعو (زيشاربعل) فقتله بجماليون المذكور اذ كان يرى انه مزاحم له على سرير المملكة فتعصبت (الياسار) مع جم غفير على عزل أخيها فقويت الفتن واشتدت المطاعنة للحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة صور فصمموا على الخروج من ديارهم الصورية استنكافا من ان يبقوا فيها تحت ذل العصبة الاهلية واستولوا على السفن المتجهزة للاقلاع على حين غفلة وركبوا فيها وسافروا فى البحر تحت قيادة (الياسار) وساروا حتى نزلوا بساحل أفريقا واختطوا هناك مدينة قرطاجة (لعلها الآن تونس) وذلك سنة ٨٦٩ ق م وصارت هذه المدينة قرينة (روما) الكبيرة (كما سيأتى) وسميت (الياسار) المذكورة باسم ديدون (أى المحاربة باللغة الفنيقية ومعنى قرطاجة المدينة الجديدة)

وبعد ذلك استمر ملوك صور مدة من الزمن فى حروب بينهم وبين ملوك آشور الى ان وقعت فنيقيا وما جاورها من المدن فى قبضة الآشوريين أما مدينة صور بعد ان حاصرها بختنصر ملك بابل مدة ١٣ سنة ودمر جزأ منها انتقلت على جزيرة صغيرة مجاورة للساحل الا انها لم تقدر على اعادة مجدها القديم ثم وقعت مملكة فنيقيا بعد ذلك فى حوزة فرعون مصر (واح ابرع) وبعده دخلت ضمن مملكة فارس أيام قمبيز ملك العجم

﴿الاراميون﴾

كان الاراميون الذين هم من بنى سام ساكنين من منذ الازمان الغابرة شمال سوريا الممتدة من جبال لبنان لغاية نهر الفرات ولم يرى فى التاريخ ما يدل على انها انضمت الى بعضها بل بقيت فروعها متفرعة كل فرع قائم بذاته وسنقتص بالذكر أشهر هذه الفروع كان الخيتاسيون أحد فروعها وهى التى تلقت من القوى أقصاها ومن الصولة أعلاها حتى اقتدرت بما لها من قوى وعزائم وجليل الهمم على مكافحة فرعون مصر خصوصا رمسيس الثانى صاحب الفتوحات الباهرة ومن أشهر مدن سوريا مدينة دمشق التى بعد ان انفكت من أسر الاسرائيليين ارتقت الى درجة سامية من العز حتى صارت قاعدة مملكة شهيرة لها شأن عظيم فى التواريخ ومع كل ذلك لم نجد نصوصا تاريخية تدل على ان بلاد سوريا توحدت فيها الكلمة بل توالت عليها القرون وهى متجزئة بين ساكنيها وهذا التفرق وعدم توحيد الكلمة بين أهلها أضعف شوكتها وبذا لم تتمكن من مصادمة هجمات الفاتحين العديدين الذين ساروا بالتعاقب على بلاد سوريا الغربية على ممر الاعصار وبعد ان تعاقب عليها المصريون والآشوريون والبابليون انتهى أمرها بالدخول ضمن مملكة الفرس واشتهرت على من جاورها من الممالك

﴿الفصل الخامس فى تاريخ العبرانيين﴾

كان ابراهيم الخليل عليه السلام من ذرية سام بن نوح عليهما السلام

وهو

وهو جد العبرانيين والعرب ولد فى مدينة أور (أورفا أو الرها) بالفرات فهجر وطنه سنة ٢٢٠٠ ق م ووصل أرض كنعان بجنوب الشام وكان من نسله اسمعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام الذين قاموا بعبادة الله وحده حينما كانت جميع الامم غارقة فى بحر الضلال يعبدون الاوثان ولما ترقى يوسف عليه السلام أحد الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب (اسرائيل) عليهم السلام الى درجة سامية فى عصر ملوك الرعاة أحضر بنى اسرائيل وأسكنهم وادى غسان (المعروف الآن برأس الوادى) ومن المحتمل ان حسن استقبال ملوك الرعاة لاولاد ابراهيم عليه السلام مترتب على بعض المجانسة فى الشبه بين هذين الجنسين وبعد ان قطن العبرانيون بمصر أربعة قرون كثر عددهم حيث صاروا أمة لا تحصى وكانت فراعنة العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة يبغضونهم كلما تذكروا عصر ملوك الرعاة خصوصا لما عاينوا سرعة نمو هذه الامة الاجنبية المغايرة لهم فى الدين والعوائد فحملوهم ما لا طاقة لهم به وعاملوهم معاملة السوء واستعملوهم فى الاشغال الجسيمة التى شرعت فيها العائلة التاسعة عشرة مدة رمسيس الثانى حيث استعملهم فى تشييد هيكل مدينة بيتوم ورمسيوم بوادى غسان

وكان موسى عليه السلام من نسل بنى اسرائيل وتربى فى دار الفراعنة المصرية وتعلم ما يفيد الكهنة المصرية من العلوم وقام لتخليص قومه فنجاهم من العذاب فقادهم الى خارج مصر ومن المحتمل أن يكون أحد خلفاء منفطا الاول هو فرعون ذلك العصر وكان أذن لبنى اسرائيل بالخروج ثم ندم على ذلك واقتفى أثرهم بجيشه الجرار فغرقوا جميعا فى بحر القلزم (خليج السويس) وقد ذكرت التوراة انه هلك مع قومه فى ذلك البحر

أما العبرانيون فانهم بعد ما جاوزوا البحر مكثوا فى صحراء وادى التيه (بجبل الطور) فى بلاد العرب مدة أربعين سنة وأوحى الله على نبيه موسى

عليه السلام بجبل الطور قانونا كلفهم بعبادة الله وحده سبحانه وتعالى وعلمهم آيات أصول الادب وأدخل فيهم الحياة الدينية والمدنية ولما مات موسى عليه السلام قام بالامر بعده يوشع عليه السلام وأغار بهم على أرض كنعان فاستولى عليها وقسم أرضها التى على شاطئ نهر الاردن بين الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب عليهم السلام وكانت هذه الاسباط عبارة عن أمم متعاهدة مع بعضها يجمعها علاقة الدين والاحاديث العامة ولما كان العبرانيون تحيطهم الاعداء من كل ناحية جعلوا لهم حاكما سموه قاضيا ليدفع صولة الصائلين وكان أشهر هؤلاء القضاة جزعون ونفتح وهما اللذين خلصا قومهما من جور جيرانهم وأما شمسون فكان ذو قوة مفرطة فزع منها أهل فلسطين ثم شمويل عليه السلام وكان حبرا وقاضيا للاثنى عشر سبطا وأراد أن يحدث حادثة كبيرة فى ترتيب دولة بنى اسرائيل لقصد زيادة تثبيت دولتهم فشرع فى جعل ولاية أمرهم العليا وراثية لعائلته لكن لم يتيسر فيهم من يقوم بواجب العدل والانصاف وصاروا يأخذون الرشا على الحكام فحصلت فتنة داخلية وأرادوا بنو اسرائيل أن يقيموا عليهم ملكا ينظر فى أمورهم فامتنع من ذلك أولا مستندا للاصل القديم المقتضى ان بنى اسرائيل لا ملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الاجابة توجه نظره الى شاب جميل الصورة بسبط بنيامين وهو شاول (المعروف فى تاريخ أبى الفدا باسم طالوت) فانتخبوه ملكا عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم وذلك فى سنة ١٠٩٢ ق م

﴿تاريخ بنى اسرائيل مدة ملوكهم﴾

﴿ذكر شاول أو طالوت﴾ ١٠٩٢ - ١٠٥٦ ق م

وقام شاول المذكور بقيادة بنى اسرائيل لكن تملكه على الامة العبرانية وولايته على الملة الاسرائيلية لم تكن الاولاية جهادية ومملكة عسكرية لاغير بما أنه استمر مدة مديدة وهو تحت طاعة صاحب الولاية الدينية

وهو

وهو شمويل وقد كان ملك العمونيين المدعو (نابال) كان قد غزى بنى اسرائيل ووضع الحصار على احدى مدنهم (يبس) أو (سالم) التى نشأت فى مكانها (ارشليم) فجمع شاول من بنى اسرائيل نحو ثلاثة آلاف مقاتل فانهزمت أمة العمونيين ونزل مدينة (جلجاله) منتظرا قدوم العبرانيين للتحية عليه فحيوه بملك بنى اسرائيل من جديد وهنؤه بهذا النصر السديد وكان الفلسطينيون قد عادوا بجنود عديدة للغارة على أرض بنى اسرائيل بالثانى ولكن انتصر عليهم حيث ساعده ولده (يوناتاس) الذى كان اشتهر بالشجاعة والاقدام وبعد ذلك شن الغارة على العمالقة انتقاما لما فعلوه ببنى اسرائيل حيث كانوا قد منعوهم عند حضورهم من مصر للتوطن بأرض كنعان فحاربهم وقتلهم وأسر ملكهم المدعو (أجاج) ثم انه خالف أمر شمويل حيث كان قد أمره بقتلهم وقطع دابرهم فعفا عن (أجاج) المذكور ومن ثم تمت المقاطعة بين شاول وشمويل وتحكمت العداوة بينهما وهاجر شمويل الى بيت لحم وجعل داود ملكا على بنى اسرائيل وكان شاول قد أصيب بداء (المالیخوليا) وكان لا يسكن الا اذا جاء داود عليه السلام وضرب له على عوده المشهور فأحبه وغمره بنعمه ورقاه لمرتبة سائس ركابه وهو لا يدرى أنه قد لبس التاج فى السر بدلا عنه ثم اشتهر داود بقتل (جالوت) أحد أبطال الفلسطينيين فلما عاين ذلك الاعداء فروا على أقدامهم هاربين وتبعتهم بنو اسرائيل وفرقوا شملهم وغنموا منهم غنائم عظيمة فلما بلغ ذلك شاول صاهره لكن لما شاع صيته بالشجاعة عند بنى اسرائيل بغضه شاول وأراد قتله فغر هاربا واتفق ان الفلسطينيين كانوا قد شنوا الغارة على بنى اسرائيل فقتل شاول وابنه يوناتاس فعاد داود وقلد بولاية الامر وذلك سنة ١٠٥٦ ق م

﴿ذكر داود عليه السلام﴾ ١٠٥٦ ـ ١٠١٦ ق م

ولما كانت الاقوام الفلسطينية يسطون على الدوام على أمة اليهود

و يأخذون منهم الجزية فلم يسع داود ان يستطع لهذا العار فقام وحارب هؤلاء الاقوام وأدخلهم تحت طاعته وحارب العمالقة والايدوميين جنوب بلاد الشام وكذا العمونيين (سكان بلاد عمان) وبالنسبة لذلك قامت القيامات والعصب فى جميع البلاد الكائنة بين نهرى الاردن والفرات فلم ينزعج داود منهم بل سار بنفسه اليهم وقاتلهم واستولى على مدينة دمشق وسوريا وحمص وشتت شمل أمة الايدوميين بوادى الملح وأحدث طرق مواصلات تجارية فيما بين ممالكه وبحر القلزم وأقصى بلاد آسيا وأفريقا ونزل على القوم المسمين باسم (اليبسيين) وهم أشجع الاقوام الكنعانيين فقاتلهم وأخذ منهم قلعتهم المسماة باسم (يبس) أو (سالم) وهى التى نشأت فى مكانها مدينة أورشليم أو بيت المقدس فيما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من ذلك العهد وأدخل فيها النظام العسكرى والمدنى وكان عصره أعظم أعصار أمة اليهود وفى آخر سنة من حكمه خرج عليه ولده المسمى باسم (عادونياش) وكان داود عهد بالملك لولده سليمان فتخلى عن عادونياش أصحابه المتعصبون معه فدخل تحت طاعة أبيه وعفا عنه

﴿ذكر سليمان عليه السلام﴾ ١٠١٦-٩٧٦ ق م

قد اشتهر سليمان بالحكمة وفصل الخطاب وكان أبوه وطد له دعائم المملكة فلم يحتاج عليه السلام لاقامة حروب مع أى أمة ما غير ان أخاه المدعو عادونياش السالف الذكر قام عليه ونازعه فى الحكم فقتله سليمان ليصفو له سرير الملك من العاهات التكديرية وبعد ذلك صرف مدة حكمه التى هى عبارة عن أربعين سنة فى أنس وكان مهادنا لكل من جاوره من الامم وهو الذى بنى معبد القدس الشريف حسب وصية من أبيه فأمده (هرام الثانى) ملك صور (كما تقدم) بكل ما يلزم لبنائه من عمال ومواد وأتمه فى سبع سنين وكان يوجد به كثير من التماثيل التى لم يسمع بها

وقد اشتهر سليمان بالحكمة كما أسلفنا فكان مهابا محترما عند جميع الامم حتى سمعت اليه بلقيس ملكة سبأ من أقصى بلاد العرب لسماع حكمته وتزوج بها وكان يميل للمشروعات الجسيمة فكانت أساطيله تجول الاقيانوس الهندى لتبحث فيه على الذهب والعاج والامتعة الثمينة وكان ملاحوه من الفنيقيين ولا يخفى ان هذا الامر يحتاج لتبذير أموال جسيمة فلذا ألزم أهل ملته بالمغارم فحصل لها ضجر عظيم ظهرت نتيجته بعد موته

﴿ذكر مملكتى يهوذا وبنى اسرائيل﴾

﴿ذكر رحبعم﴾

وبمجرد موت سليمان كان قد قام بعده على الفور ابنه (رحبعم) وذهب الى مدينة سيشار أو (نابلس) اذ كان قد اجتمع فيها سائر بنى اسرائيل ليقلدوه ملكا عليهم وكان رئيسهم رجل يدعى يربعم فطلبوا منه أن يحط عنهم بعض ما كان أبوه قد كلفهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك وأغلظ لهم الجواب فقام جميع بنى اسرائيل ودخلوا خيامهم فارسل رحبعم بن سليمان وزيره المدعو باسم (عادورام) لمنع هذا القيام فرجموه بالاحجار حتى مات وخشى رحبعم على نفسه ففر هاربا الى أورشليم وخرج عن طاعته عشر أسباط من الاسرائيليين ماعدا سبطى يهوذا وبنيامين حيث بقيا على طاعته وبايع الاسباط العشرة يربعم المذكور وهكذا انقسمت الى قسمين قسم فى الجنوب عبارة عن سبطين وسمى مملكة يهوذا وقاعدته القدس الشريف وقسم فى الشمال عبارة عن عشر أسباط وسمى مملكة بنى اسرائيل وقاعدته مدينة السامرة

﴿ذكر مملكة يهوذا﴾

مكثت هذه المملكة نحو ٨٩٣ سنة وفى السنة الخامسة من حكم رحبعم بن سليمان دخل شيشنق رأس العائلة الثانية والعشرين أرض فلسطين بجيش جرار واستولى على بيت المقدس ونهب الاوانى المقدسة

من الهيكل وكذا القصر السليمانى ثم رجع الى بلاده بهذه الغنائم وذلك سنة ٩٧٠ ق م وقد كابدت هذه الدولة محنا جسيمة من مهاجمة الامم المجاورة لها من ذلك ان سنحاريب هدد بيت المقدس فالتزم حزقيا ملك اليهود وقتئذ ان يعقد معاهدة مع ملك مصر سباقون الاتيوبى فهلك من جيش سنحاريب عسكر لا تحصى (كما سبق ذلك) ثم وقع منشاين حزقيا الصالح فى قبضة أسارادون ملك آشور سنة ٦٧٥ ق م ولما قام نيخاؤس الثانى تقدم الى نهر الفرات وحاصر مدينة قرقيش الكائنة على هذا النهر بيد أنه انهزم أمام خصمه بختنصر وعاد المصريون بالخيبة الى بلادهم أما البابليون فاستولوا على بيت المقدس وقتلوا ملكه وولوا بدله صدقيا بن يوشيا فعصى على بختنصر واستنجد بملك مصر ابرياس (واح ابرح) فانهزم أمام خصمه ووقع بيت المقدس فى يد بختنصر بعد حصار ثمانية شهور ودمرته الكلدانيون وأسر صدقيا بن يوشيا الذى هو الملك المتمم للعشرين بعد سيدنا داود عليه السلام وأسروا جميع من نجى من القتل

ولو انه لم يكن لليهود دور مهم فى السياسة مع انهادون غيرها من الامم التى يختلط بها فى المدن الا انا نرى لها تأثيرا مهما على الآداب لمحافظتها على عقيدة وحدانية الله سبحانه وتعالى ومع انها احتجبت عن العلوم والصنائع الا انها قد ارتفعت بواسطة الوحى الى درجة عالية من سمو الافكار كما يتبين ذلك من صحف الانبياء التى التوراة احداها

﴿ذكر مملكة بنى اسرائيل﴾

وقد بقيت هذه المملكة نحو ٢٥٥ سنة وفيها انتشرت عبادة الاوثان ونرى تاريخها مشحونا بالكبائر والكفريات حتى قام عليها ملكا آشور وهما تجلات فلصر الثانى وسلمنصر ودمراها وسبيا أهلها ثم بعد ذلك بمدة حضر سرجون وحاصر مدينة السامرة ثم استولى عليها ونهبها ونقل أهلها الى بلاد ميد وأرسل الى تلك المدينة بدلهم بأمم من آشوريين وكلدانيين